

توظيف الشدة واللين في القرآن الكريم - دراسة موضوعية-

الدكتور عدنان بن محمد أبو عمر

الكلية الجامعية للأم والعلوم الأسرية
الإمارات العربية المتحدة

المُقَدِّمة

الحمد لله رب العالمين، مُنْزِلِ الْقُرْآنِ حِجَّةً عَلَى الْأَنَامِ، وَهَادِيَةً لِلْإِنْسَانِ، الْقَائِلَ بِمَحْكَمِ تَنْزِيلِهِ : {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}{آل عمران:159}، وقال : {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا}{الكهف:6} والصلاة والسلام على سيدنا محمد مُبْلِغِ الْقُرْآنِ، وَحَامِلِ لَوَاءِ الْإِسْلَامِ، وَرَضِيَّ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ صَاحِبَتِهِ وَآلِ بَيْتِهِ الْأَطْهَارِ الْكِرَامِ، الْحُمَاةِ الْحَفَظَةَ لِدِينِ الْإِسْلَامِ، وَحِمْلَةَ الْقُرْآنِ عَنِ النَّبِيِّ الْعَدْنَانِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَضِيَّ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ تَابِعِيهِمْ وَمُتَقَتِّي أَثَرِهِمْ وَنَاهِجِي نَهْجِهِمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ بِإِحْسَانٍ. وبعد :

فالقرآن الكريم مصدر التشريع الأول في الإسلام، وقد تكفل الله تعالى بحفظه حفظاً للدين من أيّ تغيير، وقطعاً للطريق على كلّ من تُسَوِّلُ له نفسه محاولة النيل منه بأدنى تحريف أو تبديل، وقيض الله تعالى للنهوض بذلك عباداً له سبحانه، أوفياء مخلصين، قدّموا في ميدان الخدمة لدينه الحنيف ما تعجز الأخيلة عن الإحاطة به، وتقصّر الأذهان عن جمعه والإلمام به .

كما لا تتقضي عجائب القرآن الكريم من معجزات وسبق علم، وإخبار عما لم يأت بعد، فكَذَلِكَ لَا تَتَقَضِي وَلَا تَنْتَهِي الْإِفَادَةُ مِنْ نَهْجِهِ وَتَقْوِيمِهِ وَوَضْعِهِ لِلْحُلُولِ وَتَنْظِيرِهِ لِلْقَضَايَا الَّتِي تَهَمُ الْإِنْسَانَ فِي دُنْيَاهُ وَأَخْرَتِهِ، وَمِمَّا جَرَى بِهِ عَرَفَهُ أَنَّهُ مَا تَرَكَ مِنْ مَجْمَلَاتِ الْأُمُورِ شَيْئاً إِلَّا وَتَعَرَّضَ لَهُ، وَكَذَلِكَ مُصَدِّقاً لِقَوْلِهِ تَعَالَى : {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ}{الأنعام:38}

فكيف وظف القرآن الشدة واللين لخدمة القضايا الإنسانية وتبصير الناس بما يفيدهم من هذا وذاك وينفعهم في الحال والمآل، ويضع أمامهم الحلول للمعضلات التي تواجههم ؟ وكيف يتعاملون معها ؟، وهذا موضوع البحث الذي بين أيدينا بإذن الله تعالى.

أهمية الموضوع

تتبع أهمية الموضوع وفاعليته في أنه:

1- يتناول تنظيراً يتعلق بمنهج القرآن الكريم في التربية ، وعظيم إرشاده في باب الأخلاق.

2- يتناول توظيف معاني الآيات القرآنية ذات الصلة توظيفاً يستفيد منه المؤمن في دنياه وآخرته.

3- الإفادة من تنوع مجالات البحث بتوجيه القرآن وتركيزه على بث الوعي العقلي والأخلاقي لأمر الدنيا والآخرة .

سبب اختيار الموضوع:

يتبلور سبب اختيار الموضوع في الدافع الذي يأتي من أهمية هذه الموضوعات، وأهمية الدراسة فيها لما تتميز من قدسية الهدف ، وهو البحث في القرآن الكريم وطهارة الغرض، وهما النابعان من جلال وعظمة البحث في كلام الله سبحانه وتعالى.

أهداف الموضوع:

تتبلور أهداف الموضوع في :

- 1- التعريف بمنهج القرآن في التعامل مع القضايا بين الناس.
- 2- التبصير بمنهج القرآن في توظيف الشدة واللين في خدمة المكلف بالشرعية الإسلامية.
- 3- الوصول إلى الناحية التطبيقية في هذا الموضوع ذي الأهمية الكبيرة.

منهج البحث :

المنهج الاستقرائي التحليلي من خلال استقراء بعض السور والآيات ومعرفة موضوعاتها وأهدافها.

مصطلحات الموضوع :

التعريف بمصطلحي الشدة واللين.

الدراسات السابقة:

هناك عدة دراسات متشابهة مع الموضوع في اسمها، لكنها تختلف عنها في موضوعها، من ذلك :

1- اللين والشدة في الدعوة، أسماء جميل أحمد محمود رسالة ماجستير الجامعة الإسلامية غزة 2012م.

وهي دراسة جامعية تعنى بتعريف استعمال الشدة واللين في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، تعرضت للأمثلة من القرآن الكريم لبيان الفكرة. لكن هناك فارقاً بينها وبين هذه الدراسة وهو أن دراستنا أعم من جهة النوع وأخص في جهة البحث ، فهي تتحدث عن توظيف الشدة واللين جميعاً، وليس في الدعوة وحسب.

2- خصائص الحوار في القرآن الكريم، سمير داود سلمان بحث في جامعة بابل كلية التربية للعلوم الإنسانية 2013م مجلة العلوم الإنسانية.

وهو بحث يختص في القرآن الكريم يتحدث عن خصائص الحوار جميعاً وليس الشدة واللين فحسب، فهي أوسع في معناها من دراستنا؛ لأننا نبحت في شيء مخصوص ، وهو توظيف الشدة واللين فقط في القرآن الكريم.

3- نظام الشدة واللين مع الأبناء في البيت المسلم، عبير فهد المحروقي - مجلة الوعي الإسلامي - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - 2007م جامعة مؤتة. جمع في الدراسة الحديث عن الشدة واللين، ولكن لاستعمالها في تربية الأولاد، والطبع فإنها تتعرض للأمثلة من القرآن الكريم وتحليلها لتوظيفها في خدمة الفكرة ، وهو تربية الأولاد، فهي تقترب مع دراستنا كما الدراسة الأولى في كونها خاصة بالتربية ودراستنا عامة، وكونها عامة في مجال البحث ، ودراستنا تختص بالقرآن وحسب.

مجال البحث وحدوده :

القرآن الكريم من خلال استقراء آيات متعلقة بالموضوع والتعليق عليها.

خطة البحث:

يتكون البحث من تمهيد ومبحثين: تمهيد في تعريفات البحث: التوظيف، الشدة، اللين.

المبحث الأول: طريقة عرض القرآن الكريم للشدة واللين ، وتطهيره للقضيتين.

المطلب الأول: طريقة عرض القرآن الكريم للشدة وتطهيره لها.

- المطلب الثاني: طريقة عرض القرآن الكريم للين وتنظيره له.
- المبحث الثاني: توظيف القرآن الكريم لقضية الشدة واللين في خدمة المكلفين.
- المطلب الأول: توظيف القرآن الكريم لقضية الشدة في خدمة المكلفين.
- المطلب الثاني: توظيف القرآن الكريم لقضية اللين في خدمة المكلفين.
- الخاتمة وفيها أهم التوصيات والنتائج، ومراجع البحث.

تمهيد في تعريف ألفاظ البحث :

أولاً: التوظيف لغة واصطلاحاً :

التوظيف لغة : مصدر وَظَّفَ ، وَظَّفَ يَوْظِفُ ، توظيفاً ، فهو مُوظَّف ، والمفعول مُوظَّف ، والوظائف جمع الوظيفة، والوظيفة في كل شيء : ما يقدم كل يوم من رزق أو طعام أو علف أو شراب.(1)

وَظَّفَ عِلٌّ الصبي كلَّ يوم حِفْظَ آيَاتٍ من القرآن : عَيَّنَ لَهَا آيَاتٍ لحفظها ، ووظف الشيء عِلًّا بنفسه ووظفه توظيفاً: ألزمها إياه .(2)

لم تكن المعاجم القديمة تحدد في اللغة معذً وظف بالمعذ الذي يدرج لها بيننا الآن، فكانت تعني ما استديم من الأعمال كما سبق من مثل علف الدواب ، أو حفظ الصبي القرآن كل يوم .

وورد في المعاجم الحديثة : وظف رأس مالاً : استثمره ونماه "وظف رأس مال الشركة في مشروعات عديدة".(3)

والمعاجم الحديثة ورد فيها معناها في ناحية أخرى ، وهو استثمار رأس المال، أو محاولة استتساخ أشياء من شيء .

ولعل المعذ الحديث أقرب إلّا الاصطلاح في معذ التوظيف .

أما تعريف التوظيف اصطلاحاً :

ورد معناه في موطن التربية وتوظيف النصوص أنَّهُ في المعذ التربوي : "عملية استنباط للمفاهيم والتوجيهات القرآنية وتفعيلها تربوياً وفق منظومة علمية متجددة، بهدف تطوير وتجديد التعليم في المجتمعات الإسلامية المعاصرة"(4)

(1) انظر . كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (169/8).

(2) انظر . لسان العرب، محمد بن مكرم بن عِلّا، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفع الإفريقية (358/9).

(3) انظر . معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد (2464/3).

(4) التوظيف التربوي للقيم في القرآن الكريم، د. فخرية بنت محمد إسماعيل خوج (ص: 5).

ولا يبعد كثيراً معنى توظيف الشدة واللين في القرآن الكريم عن هذا المعنى فهما في معنى توجيه المفاهيم نحو هذين الموضوعين في اتجاه الإفادة والتقويم وإيجاد الوعي اللازم للتعاطي مع هذه الظروف، وذلك من خلال توجيهات النص القرآني.

ثانياً: الشدة لغة واصطلاحاً :

الشدة لغة : مصدر شَدَّ، يَشُدُّ ، والشَّدة: الصلابة، والشَّدة : النجدة، وثبات القلب، والشَّدة: المجاعة. والجمع : شِدَّات و شِدَد (1)

وشددنا شدة : أي حملة، وشدوداً : مثله. وشددت فلاناً: قويته. والشَّدة : الأمرُ بِصُعْبُ تحمله

وشدة العيش: شظفه وضيقه، وشدة البرد : قُوته، أي البرد الذي يصعب تحمُّله
شدة الحرّ شدة المرض : شدة الألم شدة العيش (2)

تدور معنى الشدة في المعاجم في معنى الصلابة والقوة، ولا يفرق بين القوة الحسية والقوة المعنوية، لكن الشدة تقترب عن القوة عند العسكري (3): "والفرق بين القوة والشدة، أن الشدة في الأصل هي مبالغة في وصف الشيء في صلابة، وليس هو من قبيل القدرة، ولهذا لا يقال لله شديد . والقوة من قبيل القدرة على ما وصفناه وتأويل قوله تعالى: { كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً } [الروم:9] أي أقوى منهم، وفي القرآن: { ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ } [الذاريات:58] أي العظيم الشأن في القوة ،وهو اتساع { ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ } [الذاريات:58]" (4)

(1) العين للخليل (213/6).

(2) انظر. المحيط في اللغة، إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، المشهور بالصاحب بن عباد (252/7).

(3) الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد ابن يحيى بن مهران العسكري، أبو هلال: عالم بالأدب، له شعر. من كتبه: التلخيص في اللغة، ومعجم في اللغة، وجمهرة الأمثال وكتاب الصناعتين النظم والنثر والتبصرة والفروق في اللغة . انظر خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (230/1) والأعلام للزركلي (196/2).

(4) الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (107/1).

ومعناه أن الشدة تكون في الأمور المعنوية أكثر من الأمور الحسية التي تناسبها القوة والصلابة ونحوها.

الشدة اصطلاحاً:

من خلال تتبع المصادر التعريفية وجدناها لا تزيد في تعريف الشدة غير ما ورد في التعريف اللغوي، وبناءً على التعريفات السابقة في معجم الشدة نستطيع أن نعرفها بأنها: الأخذ بالعزم دون الترخص والمسامحة، والعنف نحو الخطأ بالقول والعمل، والتوجه نحو الأشياء بالجزم والرأي الصارم.

ويعدّ هذا التعريف أدق هذه التعريفات؛ لكونها أليق بالبحث العلمي، وقد ذكر مصطلح الشدة في القرآن بمشتقاته مائة واثنتين مرة ، واللين ومشتقاته ومفرداته في عدد مثله؛ لأن الشدة تعتري التعاملين مع المؤمن وغيره، واللين يعتريهما أيضاً مع اختلاف المواقع والألقاب.

ثالثاً: اللين لغة واصطلاحاً:

اللين لغة : لَيِّنَ يَلَيِّنُ ، تَلْيِينًا ، فهو مُلَيِّنٌ ، والمفعول مُلَيَّنٌ. يقال في فعل الشيء اللين: لان يلين ليناً وليناً. وشيء لين، ولين، مخفف، مثل: هين⁽¹⁾ اللين : ضد الخشونة ، شيء لين : بين اللين واللين ، بفتح اللام.⁽²⁾
لَيِّنُ الْجَانِبِ : هَادِيٌّ، لَطِيفُ الْمَعَاشِرَةِ، نَاقِمٌ لَيِّنُ الْعَرِيكَ لَيِّنُ الطَّنْعِ.⁽³⁾
وَاللَّيْنُ: كُلُّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ النَّخْلِ سِوَى الْعَجْوَةِ الْوَاحِدَةِ: لَيْنَةٍ ، واللونة: لغة فيه؛ والجميع لون.⁽⁴⁾

(1) انظر . العين، الخليل بن أحمد (8/ 333).

(2) انظر . جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (2/ 989).

(3) انظر . تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (15/ 266).

(4) المحيط في اللغة، إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، المشهور بالصاحب بن عباد (2/ 456).

هذه التعريفات اللغوية للفظه اللين تتمحور حول معنى ضد الخشونة ومعنى الشيء الهين السهل الذي لا صعوبة فيه، وهذا المعنى قريب من معناه في الاصطلاح الآتي.

اللين اصطلاحاً :

ليس هناك تعريف اصطلاحى محدد للين، ولكن من خلال التعريفات اللغوية نستطيع أن نقول إن اللين هو استعمال ما ضد الشدة من الرفق واستعمال مرغوب الكلام والفعل والأخذ بالرخصة، والهدوء نحو الخطأ بالقول والعمل، والتوجه نحو الأشياء بالرفق والسهولة.

المبحث الأول: طريقة عرض القرآن الكريم للشدة واللين وتنظيره للقضيتين.

تقديم :

لطالما عرض القرآن الكريم لقضايا الكون والوجود في صورة تكشف عن عمق المعرفة بالطبائع والنفوس ودخيلة النفس ، وما تتطوي عليه من أسرار كأنها رأي عين، ولطالما كان القرآن يوفي كل قضية ما تحتاجها من آليات عرض ووضع مناسب لحلول المشاكل وتنظير المفاهيم وترتيب أولويات القول والعمل والتصرفات، وهو ما كان جلياً في معالجة قضية الشدة واللين وتوظيف معانيها والنصوص الواردة فيها في قضية القرآن الكريم الكبرى ، وهي تبصير الخلق لما يفيدهم في أمور دينهم ودنياهم، وهو ما سنجلي عنه اللثام في هذا المبحث والذي يتكون من مطلبين :

المطلب الأول: طريقة عرض القرآن الكريم للشدة وتنظيره لها.

من تتبع أسلوب القرآن في عرض قضية الشدة وما يترتب عليها أو لوازمها التي تلتبس بها تبين أنها تنحصر في :

الحكمة في وضع الشدة موضعها :

الشدة: الخشونة والغلظة، ومعاملة المعاند بهما من وضع الشيء في موضعه، ومعاملته باللين والرحمة وضع لهما في غير موضعهما قال المتنبّي⁽¹⁾: **ووضع الندى في موضع السيف بالعلّا مضراً كوضع السيف في موضع الندى**.⁽²⁾⁽³⁾ فالشدة قد تكون مطلوبة أحياناً، ولكن بقدر، وفي مواضع حتمتها الظروف، قال تعالى: **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ** [التوبة: 73] أي: ابذل جهدك في مقاومة الفريقين الذين يعيشون مع المؤمنين بمثل ما يبذلون من جهدهم في عداوتك، وعاملهم بالغلظة والشدة الموافقة لسوء حالهم.⁽⁴⁾

فمنتهى الحكمة فيها أنها سبيل إصلاح كبير، أو مواجهة محتومة مع باطل قد ضاق الذرع به.

الشدة ليس أول التعامل :

وكانت الشدة في عرف القرآن الكريم في نهاية الطريق، وفي آخر الحلول، فبعد أن أمر موسى وهارون عليهما السلام بلين القول مع فرعون، انتهى بهم الأمر إلى قول موسى -عليه السلام- **وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا** [الإسراء: 102]

(1) أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي، أبو الطيب المتنبّي: الشاعر الحكيم، وتنبأ في بادية السماوة بين الكوفة والشام فتبعه كثيرون، وقيل أن يستفحل أمره خرج إليه لؤلؤ (أمير حمص ونائب الإخشيد) فأسره وسجنه حتى تاب ورجع عن دعواه. توفي سنة: 354 هـ. وفيات الأعيان لأنباء ابناء الزمان لابن خلكان (36/1).

(2) ديوان أبي الطيب المتنبّي، أبو الطيب المتنبّي أحمد بن الحسين الكوفي (361/1).

(3) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (473/10).

(4) تفسير المنار، محمد رشيد رضا (473/10).

فإذا انقضى أمد الرفق واللين، فلتكن الشدة والغلظة، وإذا انتهت مدة المصلا برة ، فليكن الحسم والحزم، ولحركة الحياة مراحلها، واللين أحلامها قد يؤدي .
فنوح عليه السلام يقول لقومه: ﴿وَلَكِنِّي أَرَأَيْكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [هود:29] بعد أن استخدم معهم اللين.

وإبراهيم عليه السلام قال لقومه: ﴿أَفَبِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء:67] بعد إقامة الحجة والجدال بصورة المتنوعة.

وهو المنهج مع الكفار والملأفين، بعد استنفاد طرق ووسائل الرفق واللين، فقد قال تعالى لنبيه: ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة:73]
"أي: كن غليظاً بالفعل والقول للتوبيخ والزجر والإبعاد والهجر ، فإن الغلظة عليهم من اللين لله كما أن اللين لأهل الله من خشية الله، وقد أمره سبحانه باللين لهم في أول الأمر لإزالة أعدائهم وبيان إصرارهم، فلما بلغ الرفق أقصى مداه لجأه إلى الغلظة وتعداه"⁽¹⁾

اضطرار لإصلاح المؤمن :

قد "يقسو القرآن الكريم في العقاب، بعد أن يكون قد استخدم الرفق واللين، وذلك في الأمور التي يترتب على التهاون فيها ما يؤدي للدعوة، كما ترى ذلك في قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اتَّقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ إِلَّا تَنْفَرُوا يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة 38-39]

ولعله بعد رفقهم بهم، وبيانه لهم أن متاع الحياة الدنيا قليل، إذا قيس بمتاع الآخرة - رأى أن يقف عند هذا الحد من الموازنة، بل مضى محذراً منذراً"⁽²⁾

(1) ينظر : نظم الدرر في تماسب الآيات والصور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (20/206).

(2) من بلاغة القرآن، أحمد أحمد عبد الله الببلي البدوي (274).

وقد تبع القرآن الكريم في عرض الشدة مبدأ الجزاء من جنس العمل، فكل شدة وضعت في موضعها اللائق، فينبغي أن تكون كذلك رعاية للحكمة التي لمعناها وضع الشيء في موضعه المناسب، وكذا مبدأ أن الأمور تجري في أعنتها بمقادير الله سبحانه وتعالى، فلا تكون شدة إلا في مقابل خطأ عقوبة على ما اقترفت الأيدي وكسبت الأجساد.

المطلب الثاني : طريقة عرض القرآن الكريم للين وتنظيره له.

أمر الله تعالى خلقه في كتابه بالتزين بصفة اللين وحثهم على أن يكون لهم منهجاً في حياتهم، وتجلت عظمة هذا الخلق، في إجابته على أنبيائه ورسله، في أجلّ مقامات مهمتهم، وهي الدعوة إلى دين الحق، فأمر رسله وأصفياه أن يتصفوا في دعوتهم باللين، والتلطف في توضيح الحق، وإذا كانوا هم القدوة، فينبغي على صاحب القدوة أن يكون قوله ليناً، ووجهه منبسطاً طلقاً مع صالح الخلق والطالح منهم، فالناس بطبيعتهم ينصرفون عن القاسي الجافي، غليظ القلب مهما كان قدره ومنزلته، فالإسلام لم يقدم الرفق بوصفه خلقاً إيمانياً وصفة سامية فحسب، بل لأنه طريقة تتناول الحياة كلها، وتعالج سلوك الخلق بأكملهم.

اللين مع الأتباع :

ففي القرآن الكريم يخاطب الله نبيه: {وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ} [آل عمران:159]، وقال تعالى: {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [الشعراء:215]

وخفض الجناح : كناية عن التواضع واللين، والرفق، في صورة حسية مجسمة، إذ من شأن الطائر حين يهبط، أو حين يضم صغاره إليه أن يخفض جناحه، كما أن رفع الجناح يطلق على التكبر والتعالي، ومنه قول الشاعر:

وأنت الشهير بخفض الجنا ... ح فلا تك في رفعه أجداً .

أي: وكن - أيها الرسول الكريم - متواضعاً لين الجانب، لمن اتبعك من المؤمنين، ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم سيد المتواضعين مع أصحابه، إلا أن الآية الكريمة تعلم المسلمين في كل زمان ومكان - وخصوصاً الرؤساء منهم - كيف يعامل بعضهم بعضاً⁽¹⁾

فاللين مع الأتباع سياسة قرآنية وتعامل رباني أصيل، هو الأصل في التربية والإصلاح وتجميع الجهود ووحدة الصف، ولا يترك لغيره إلا اضطراراً.

(1) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، (287/10).

مع المخالفين :

يؤكد القرآن على منهجه فيقول: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ} [النحل:125] ف: "ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف"⁽¹⁾

ويرسي هذا منهجاً عاماً لمن حمل أمانة الدين وتبليغه، ف: "المحاور المنصف يناقش باللفظ والأناة والهدوء، ومن الأشياء التي تفتح مغاليق النفوس، ألا تسفه آراء محاورك، وأن تظهر له الاحترام ولو كان على غير رأيك"⁽²⁾

وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ألا يجادل الكفار إلا بالتي هي أحسن: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [العنكبوت:46] قال ابن العربي⁽³⁾: "ومن امتنع بقي الجدل في حقه؛ ولكن بما يحسن من الأدلة، ويجمل من الكلام، بأن يكون منك للخصم تمكين، وفي خطابك له لين، وأن تستعمل من الأدلة أظهرها، وأنورها، وإذا لم يفهم المجادل أعاد عليه الحجة وكررها"⁽⁴⁾ ثم استثنى منهم {إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ} [العنكبوت:46] فليس من هؤلاء المأمور بهم اللين والرحمة واللفظ.

مع العتاة الظالمين :

أمر القرآن، نبي الله موسى وأخاه هارون - عليهما السلام - بأن يخاطبا فرعون بالملاطفة واللين فقال تعالى: {فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} [طه:44] ف: "من عادة الجبابرة إذا غلظ لهم في الوعظ أن يزدادوا عتواً وتكبراً، والمقصود من البعثة

(1) تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (531/5).

(2) الحوار في القرآن الكريم دراسة - ونموذجاً، حسني محمد العطار (ص: 19).

(3) محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي، أبو بكر ابن العربي، ولد في إشبيلية، ورحل إلى المشرق، ومات بقرب فاس، ودفن بها سنة ثلاث وأربعين وخمسائة. من كتبه: العواصم من القواصم، وعارضة الأحوذ في شرح الترمذي، وأحكام القرآن، والقبس في شرح موطأ ابن أنس، والناسخ والمنسوخ، والمسالك على موطأ مالك، والإنصاف في مسائل الخلاف، وأعيان الأعيان، والمحصل في أصول الفقه، وكتاب المتكلمين، وقانون التأويل. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء للذهبي - (42/15) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ابن مخلوف (199/1).

(4) أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي (518/3).

حصول النفع لا حصول زيادة الضرر، فلهذا أمر الله تعالى بالرفق⁽¹⁾ وهذا إبراهيم - عليه السلام- مع أبيه، فانظر إليه "حين أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورطاً فيه من الخطأ العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصى فيه أمر العقل وانسلخ عن قضية التمييز كيف رتب الكلام معه في أحسن اتساق وساقه أرشق مساق مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين والأدب الجميل والخلق الحسن منتصفاً في ذلك نصيحة ربه جل وعلا"⁽²⁾ وعلى الجملة قال تعالى لنبيه: {خُذِ الْعَفْوَ} [الأعراف: 199] الآية وهي: "جامعة لمكارم الأخلاق، لأن في أخذ العفو والتساهل والتسامح في الحقوق واللين والرفق في الدعاء إلى الدين، وفي الأمر بالمعروف كف الأذى وغض البصر وما شاكلهما من المحرمات، وفي الإعراض الصبر والحلم والتؤدة"⁽³⁾

وعلى الجملة كذلك في قوله تعالى: {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا} [البقرة: 83] يقول النيسابوري⁽⁴⁾: "كلام الناس مع الناس في الأمور الدينية إن كان بالدعوة إلى الإيمان وجب أن يكون بالرفق واللين، كما قال لموسى: {فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} [طه: 44]، وقال لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: {وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ} [آل عمران: 159] وإن كان بالدعوة إلى الطاعة كالفساق فحسن القول أيضاً معتبر {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [النحل: 125] {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ} [المؤمنون: 96]

(1) اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (254/13).

(2) تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (182/6).

(3) الإتيان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (183/3).

(4) إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز آبادي الشيرازي، أبو إسحاق: العلامة المناظر. كان مرجع الطلاب ومفتي الأمة في عصره، واشتهر بقوة الحجة في الجدل والمناظرة. من تصانيفه التنبيه والمهذب في الفقه، والتبصرة في أصول الشافعية، وطبقات الفقهاء، مات ببغداد سنة 476 هـ. انظر وفيات الأعيان لابن خلكان (29/1) الأعلام للزركلي (51/1).

{وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ}{فصلت:34} وأما في الأمور الدنيوية فمن المعلوم أنه إذا أمكن التوصل إلى الغرض باللطيف من القول لم يعدل إلى غيره، وما دخل الرفق في شيء إلا زانه، وما دخل الخرق في شيء إلا شانه، فثبت أن جميع آداب الدين والدنيا دخلت تحت هذا القول⁽¹⁾

والتنصيف الذي صنفه القرآن الكريم لمكان هذا وذاك ، هو من الأهمية بمكان أن يراعي؛ فإن التنصيف من لدن من صنع النفوس ومن ألهمها فجورها وألهمها تقواها، وعرض الثنتين في التعامل، فوضع كلاً في موضعه ومكانه.

لمبحث الثاني : توظيف القرآن الكريم لقضية الشدة واللين في خدمة المكلفين .
تقديم :

كما وظفت كثير من آيات القرآن الكريم في خدمة مصالح المؤمنين، وصار الانتفاع بهذا واضحاً جلياً، كذلك وظفت المعاني القرآنية التي سبقت في الشدة واللين لهذا السياق الذي تتقلب فيه الآيات بين التنظير والتمهير، وإيجال الوعي وتنميته بين الناس، ووضع الأسس التي تقوم عليها علاقات الناس، وغير ذلك مما توظف معاني الشدة واللين في القرآن العظيم ليشمل كل اتجاهات الحياة ؛ في الدعوة إلى الله تعالى، وفي خدمة البشرية في نواحيها جمعاء، في المعاملة مع الأصدقاء والأعداء، إلى غير ذلك الكثير، وفي هذا المبحث نجلي تلك المعاني في توظيف الشدة واللين في خدمة المكلفين .

(1) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (1/ 325).

المطلب الأول: توظيف القرآن لقضية الشدة في خدمة المكلفين.

وظّف القرآن الكريم قضية الشدة، في كونها مطلباً شرعياً، في تقديرها وإيجابها -في وقت ما- على خلق الله، لما فيه خدمتهم حتى وإن كان ظاهره الشر، فقد جعلها:

كفة في ميزان العدل :

تمثّل ذلك في قوله: **{وَاعْلَظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}** [التوبة:73]

فبيّن أن الناس مع الشريعة على ميزان العدل، إذ هل تستوي الظلمات والنور؟ وهل يتكافأ الخير والشر؟ فإن "معاشره الرئيس من إمام وملك وأمير لمنافقي قومه بمثل ما يعاشر به المخلصين منهم، فيه توطيّن لأنفسهم على النفاق، وحمل لغيرهم على الشقاق، فكيف إذا وضع المحاسنة موضع المخاشنة، والإيثار لهم حيث تجب الأثرة عليهم، وبالف في تكريمهم بالحباء والاصطفاء، لمبالغتهم في التملق له، وهان الدهاء، والإطراء في الثناء؟ فإن هذه المعاملة مفسدة لأخلاق الدهماء، ومثيرة لحفائظ المخلصين الفضلاء، وكم أفسدت على الملوك الجاهلين أمرهم، وكانت سبباً لإضاعة ملكهم"⁽¹⁾ وقوله سبحانه وتعالى **{وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ}** [الحجر:88] يعني لئِن جانبك للمؤمنين وارفق بهم فلما نهاه الله سبحانه وتعالى عن الالتفات إلى الأغنياء من الكفار، أمره بالتواضع واللين والرفق بفقراء المسلمين.⁽²⁾ فاللين ما لم يضيّع حقاً من حقوق الله، يقول النيسابوري: "وها هنا حقيقة هي أن اللين والرفق إنما يجوز إذا لم يفض إلى إهمال حق من حقوق الله ولهذا أمر بالغلظة في قوله: **{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ}** [التوبة:73] وقال في إقامة حد الزنا: **{وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ}** [النور:2]، ومثله: **{أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ}** [المائدة:54]"⁽³⁾

(1) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (475/10).

(2) ينظر: تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيجي أبو الحسن، المعروف بالخازن (74/4).

(3) غرائب القرآن ورجائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (293/2).

ولئلا يكون اللين هنا فيربك الموقف وتتغير المفاهيم وتستمال النفوس من الشيطان ،ويتمادى الباطل في غيه لئلا يكون ذلك ، كان هذا التدقيق وهذا الوضع في المكان الأليق والمكانة المنضبطة، فالشدة على هذا في وضعها إصلاح له لرده عن غيه ، أو منع شره ، أو كفه عن الدعوة حتى لا يضعف سيرها ، وصيانة عن الذوبان والضياع ، فسبحان من جعل هذا في مكانه ووظفه لحقه.

طريقة في تربية النفس :

قال الله تعالى: {إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي} [يوسف:53] النفس البشرية تحتاج إلى شدة وغلظة، فقال: {وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ} [القيامة:2] أمر الشدة مستفاد من صيغة المبالغة، والمبالغة في الكيف؛ إذ الدوام يستلزم الشدة ويعلم لوم النفوس المقصرة (1).

فالإنسان في أشد الحاجة إلى محاسبة نفسه ومراقبتها أدق المراقبة، ومقاومة غرائز السوء فيها، وتقوية عوامل الصلاح والخير التي تحيط بها، حتى يسلس له قيادتها ، ويسير في الطريق المستقيم، وذلك بإشعارها بالخوف تارة، وأخذها بالشدة والقسوة وإشعارها بالرجاء تارة أخرى، وأخذها باللين والأمل، قال النووي(2): "اعلم أن المختار للعبد في حال صحته: أن يكون خائفاً راجئاً، ويكون خوفه ورجاؤه سواء، وفي حال المرض يمحض الرجاء، وقواعد الشرع من نصوص الكتاب والسنة متظاهرة على ذلك. فيجتمع الخوف والرجاء في آيتين مقترنتين، أو آيات، أو آية واحدة"(3)

(1) ينظر : حاشيتا القنوي وابن التمجيد على البيضاوي، عصام الدين إسماعيل بن محمّد الحنفي (صاحب: حاشية القنوي على البيضاوي) مصلح الدين بن إبراهيم الرومي الحنفي (صاحب: حاشية ابن التمجيد على البيضاوي (444/19).

(2) يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، النووي، الشافعي، أبو زكريا، محيي الدين: علامة بالفقه والحديث. من كتبه: تهذيب الأسماء واللغات ومنهاج الطالبين والدفائق وتصحيح التنبيه في فقه الشافعية و المنهاج في شرح صحيح مسلم والتقريب والتيسير. توفي سنة 676 هـ. انظر طبقات الشافعية للسبكي (395/8) الأعلام للزركلي (149/8).

(3) رياض الصالحين، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (168).

قال الرازي⁽¹⁾:

"نفسه المطمئنة حاكمة على نفسه الأمارة بالسوء مستعلية عليها قاهرة لها ومتى صارت القوة الشهوانية والغضبية مهورة ضعيفة فاضت الأنوار القدسية والأضواء الإلهية من عالم القدس على جوهر النفس"⁽²⁾

وإذا كان الأعداء الظاهرون يحتاجون إلى الغلظة والشدة. فما ظنك بأعدى الأعداء، وهي النفس الأمارة بالسوء، ففي الغلظة عليها نجاة، وفي اللين هلاك، وفي المثل: العصا لمن عصا.⁽³⁾

ومن تربية النفس بالقوة أن الله تعالى أمر يحيى عليه السلام أن يأخذ الكتاب بالقوة فقال له: **{يَايَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا}** [مريم:12] "والجار والمجورور بقوةٍ حال من فاعل خذ، وهو يحيى، والباء للملابسة أي: خذه حالة كونك ملتبساً بحفظه وتنفيذ أحكامه بشدة وثبات"⁽⁴⁾ وقال لبيبي إسرائيل: **{وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}** [البقرة:63].
أدباً من آداب القيادة.

قال الله تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ}** [التوبة:73]
أي يا أيها الرسول النبي قاتل الكفار بالسيف، والمنافقين بالحجة والبرهان وإقامة الحدود عليهم إذا ارتكبوها، وشدد عليهم في الدعوة إلى الإسلام في الدنيا، واستعمل العنف

(1) هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي، الإمام المفسر. أوجد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل. وهو قرشي النسب. أصله من طبرستان، ومولده في الري وإليها نسبته. من تصانيفه: مفاتيح الغيب، ومعالم أصول الدين، وأساس التقديس، والمحصل في علم الأصول. توفي في ذي القعدة سنة أربع وثلاثين و. ينظر: وفيات الأعيان (248/4)، وطبقات الشافعية الكبرى (81/8).

(2) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (18/437).

(3) ينظر: تفسير حقائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي (29/482).

(4) التفسير الوسيط للقرآن الكريم للدكتور سيد طنطاوي (9/20).

والقسوة والشدة مع الفريقين، فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة والوعيد، لذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بطرد بعض المنافقين من الجامع قائلًا: اخرج يا فلان، اخرج يا فلان. وهذا عذابهم في الدنيا. وسيكون مقر الفريقين ومسكنه في الآخرة جهنم، وبئس المرجع والمثوى والمقيل.⁽¹⁾

وقد شرع الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو القدوة -لكل قائد- أن يكون منه ما يناسب الحال، فعليه أن: "يبالغ في جهادهم والغلبة عليهم حيث اقتضت الحال الغلبة عليهم. وهذا الجهاد يدخل فيه الجهاد باليد، والجهاد بالحجة واللسان، فمن بارز منهم بالمحاربة فيجاهد باليد، واللسان والسيف والبيان، ومن كان مدعناً للإسلام بذمة أو عهد، فإنه يجاهد بالحجة والبرهان ، ويبين له محاسن الإسلام، ومساوئ الشرك والكفر، فهذا ما لهم في الدنيا"⁽²⁾ .

جعل البأساء والشدة أثراً من آثار قوة الله وقدرته :

قال الله تعالى: {وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ} [البقرة: 177] فإن ما أصابهم من البأساء والضراء أثر من آثار قوة قدرة الله تعالى وغلبته عليهم، والمجيء مستعار للحدوث والحصول بعد أن لم يكن تشبيهاً لحدوث الشيء بوصول القادم من مكان آخر بتتقل الخطوات.⁽³⁾

فكانت هذه الشدة أثراً من آثار القدرة الإلهية التي تعمل في حياة الناس، وخاصة المؤمنين منهم، فتتقي ضمائرهم وتعلي نفوسهم.

جعل الشدة اختباراً للمؤمنين :

فقد ذكر الله تعالى أن المؤمنين معرضون للاختبار فقال: {وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ} [العنكبوت: 11] أي وليختبرن الناس بالسراء والضراء، ليطيرون المؤمنين من المنافقين، فيعرف من يطيع الله في كل حال، ومن يعصيه وقت الشدة، كما قال تعالى: {وَلْيَبْلُوكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُو}

(1) ينظر . التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلي (220/28).

(2) تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (344).

(3) انظر . التحرير والتلوين للطاهر بن عاشور (228/7).

أَخْبَارُكُمْ} {محمد:31}، وقال سبحانه بعد وقعة أحد التي كانت محك اختبار وامتحان: {مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ} {آل عمران:179} (1)

ففي الشدة بيان لـ: (اختبار المؤمنين عـ الشدائد والمحن في الدنيا، وبيان فائدة جهاد النفس، ومعرفة مدى صلابة الإيمان وقت الشدة، فالمؤمن هو المجاهد الصابر الذي لا يلين أمام الأحداث الجسام، ويظل ثابت العهد كالطود الشامخ دون أن يتزعزع عن إيمانه وعقيدته، وأما مهتز الإيمان أو المنافق، فيظهر الإيمان أحياناً، ولكنه لا يتحمل الأذى في سبيل الله: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابٍ} {العنكبوت:10}، وحينئذ يعلم الله تعالـ المؤمنين علم انكشاف وإظهار ، كما يعلم المنافقين، لكنه سبحانه عالم بذلك سلفاً) (2)

ففي أتون الشدائد تولد الفوائد، وفي دواخل البلايا تتحقق المنايا، وهذا وغيره من الشدة التي تحصل له في حياته والقوة التي تضاعط عـ مجرياته.

(1) التفسير المنير في العقيدة والشرعية والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلي (20 / 204).

(2) التفسير المنير في العقيدة والشرعية والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلي (20 / 183).

المطلب الثاني : توظيف القرآن لقضية اللين في خدمة المكلفين.

وظّف القرآن الكريم هذا الخلق، في مخاطبة المستكبرين والمستضعفين، ذلك أن هذا الخلق له كبير الأثر في فتح القلوب واستئناس النفوس، في خدمة الدعوة، كما وظّفها في أمور عدة :

في تربيته النشء :

قال الله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[البقرة:83] وأولاهم من كلفنا الله بتعهدهم وتربيتهم، الولد والخادم والربيب، قال ابن خلدون: "ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو الخدم، سطا به القهر، وضيق على النفس في انبساطها، وذهب بنشاطها، ودعاه إلى الكسل، وحمل على الكذب والخبث، وهو التظاهر بغير ما في ضميره، خوفاً من انبساط الأيدي بالقهر عليه، وعلمه المكر والخديعة لذلك، وصارت له هذه عادة وخلقا، وفسدت معاني الإنسانية التي له"⁽¹⁾

ليس أثمر في النفس من معاملة يتوخى فيها استمالة القلوب وطبعها أنها عبدة للإحسان، وأفضل الإحسان اللين والرفق.

في التخلق بالحسن :

قال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾[الفرقان:63] ، عن الحسن قال: الهون في كلام العرب : اللين والسكينة.⁽²⁾

ف: "المشي الهون: هو الذي ليس فيه ضرب بالأقدام وخفق النعال فهو مخالف لمشي المتجبرين المعجبين بنفوسهم وقوتهم. وهذا الهون ناشئ عن التواضع لله تعالى

(1) تاريخ ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر) عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (743/1).

(2) تفسير يحيى بن سلام، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (489/1).

والتخلق بآداب النفس العالية وزوال بطر أهل الجاهلية فكانت هذه المشية من خلال الذين آمنوا على الضد من مشي أهل الجاهلية⁽¹⁾ والتخلق بالحسن من ثمرات الأمر باللين وتوظيف محتواها والاتجاه به إلى مستوى ألقى وأعلى.

في مراعاة طبائع النفوس :

والعرب أمة عرفت بالأنفة، وإباء الضيم، وسلامة الفطرة. وسرعة الفهم. وهم المتلقون الأولون للدين فلم تكن تليق بهم الشدة والغلظة، ولكنهم محتاجون إلى استئزال طائرهم في تبليغ الشريعة لهم، ليتجنبوا بذلك المكابرة التي هي الحائل الوحيد بينهم وبين الإذعان إلى الحق⁽²⁾

لذا فقد أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم باللين وخفض الجناح والاستماع لرأيهم بل وطلبه منهم، وهذا أكبر ضمانة لوحدة الصف واجتماع القلوب، وهل أعلى من هذا توظيفاً للخلق والاتجاه به إلى هذا المكان.

في بيان ثمرة اللين :

قال الله تعالى: {وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} [آل عمران:159] فلما بين سبحانه وتعالى سبب هذا اللين المتين ، بين ثمرته ببيان ما في ضده من الضرر فقال: { لَهْمُ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا} [آل عمران:159] أي سيء الخلق جافياً في القول {غَلِيظَ الْقَلْبِ} [آل عمران:159] أي قاسية لا تتأثر بشيء، تعاملهم بالعنف والجفاء { لَانفَضُّوا} [آل عمران:159] أي تفرقوا تفرقاً قبيحاً لا اجتماع معه من حولك ،أي ففات المقصود من البعثة⁽³⁾

(1) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (68/19).

(2) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور (145/4).

(3) نظم الدمامي في تناسب الآيات والسور، أبو الحسن، برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّبَاط بن علي بن أبي بكر البقاعي (173/2).

ف: "بين تعالى أن ثمرة اللين هي المحبة، والاجتماع عليه، وأن خلافاها من الجفوة والخشونة مؤد إلى التفرق، والمعنى: لو شافهتهم بالملامة على ما صدر منهم من المخالفة والفلار لتفرقوا من حولك هيبة منك وحياء، فكان ذلك سبباً لتفرق كلمة الإسلام وضعف مادته، وإطماعاً للعدو. واللين والرفق، يكون فيما لم يفض إلى إهمال حق من حقوق الله تعالى" (1)

وأجلها أيضاً سلامة الصدر وصفاء النفوس والحب والود بين المؤمنين، بل وانتواء النفوس لو فادى بعضها بعضاً بالروح والجسد، وفي هذا يقول القرآن: {وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [الأنفال: 63]

في بيان مراتب الناس :

قال الله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [النحل: 125] ، وقال الله تعالى: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ} [العنكبوت: 46] "إنما تفاوتت طرق دعوته عليه ﷺ للصلاة والسلام لتفاوت مراتب الناس: فمنهم خواص ، وهم أصحاب نفوس مشرقة قوية ﷻ لاستعداد لإدراك المعاني قوية ﷻ لانجذاب إلى المبادئ العالية مائلة إلى تحصيل اليقين على اختلاف مراتبه ، وهؤلاء يدعون بالحكمة بالمعنى السابق، ومنهم عوام أصحاب نفوس كدرة ضعيفة ﷻ لاستعداد شديدة ﷻ لألف بالمحسوسات قوية ﷻ للتعلق بالرسوم والعادات قاصرة عن درجة البرهان ، لكن لا عناد عندهم ، وهؤلاء يدعون بالموعظة بالحسنة بالمعنى المتقدم، ومنهم من يعاند ويجادل بالباطل ليدحض به ﷻ الحق لما غلب عليه من تقليد ﷻ لأسلاف ورسخ فيه من العقائد الباطلة فصار بحيث لا تنفعه ﷻ الموعظة ﷻ والعبر ، بل لا بد من إقامه ﷻ الحجر بأحسن طرق ﷻ للجهل لتلين عريكته وتزول شكيمة ، وهؤلاء ﷻ للذين أمر صلى الله عليه

(1) تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان ﷻ الأنلسي (104/3).

وسلم بجدالهم بالتي هي أحسن، وإنما لم تعتبر المغالطة والشعر ،لأن فائدة المغالطة تغليط"⁽¹⁾

وأعلى مراتب الناس من رزقه الله حِلماً في علم وحزماً في لين وقصدًا في غنى، وتَجَمُّلاً في فاقة، وتحرُّجاً عن طمع، والتوسط في كل شيء مطلوب، ونحن أمة وصفنا الله تعالى بالوسطية، فقال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[البقرة:143]، فإذا ركبت الوسطية والحكمة في امتزاج الشدة باللين وجعل كل منهما في مكانه وزمانه وظرفه اللائق بها ، فلا شك أننا سنعمل بأوج التوظيف الذي أراده القرآن الكريم للشدة واللين، والله تعالى أعلم.

(1) روى المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الألويسي (7/ 487).

الخاتمة وفيها :

النتائج:

وقد توصل الباحث من هذه الرحلة في بيان توظيف الشدة واللين في القرآن الكريم إلى عدة نتائج، وهي:

- 1- أن التوظيف يعني توجيه المفاهيم في اتجاه الإفادة والتقويم وإيجاد الوعي وتنميته.
- 2- أن الشدة تعني الأخذ بالعزم، والتوجه نحو الأشياء بالجزم والرأي الصارم.
- 3- أن اللين هو استعمال ما ضد الشدة من الرفق واستعمال مرغوب الكلام والفعل.
- 4- عرض القرآن الشدة في موضع الحكمة، وفي مطالبها المرجوة تحقيقاً وبناء وإصلاحاً.
- 5- أن القرآن تبع في عرض الشدة مبدأ الجزاء من جنس العمل.
- 6- أمر الله خلقه في كتابه بالتزين بصفة اللين وحثهم على أن يكون لهم منهجاً في حياتهم مع الأتباع، ومع المخالفين، ومع العتاة الظالمين.
- 7- توظيف اللين في القرآن الكريم في اتجاه الإفادة والتقويم وإيجاد الوعي اللازم للتعاطي مع كل الظروف.

التوصيات:

من التوصايا المهمة التي أبرزها هذا البحث :

- 1- أن كثيراً مما تناوله القرآن الكريم لا زال جديراً بالدراسة لعموم النفع الذي لا ينقطع منه.
- 2- التطرق للإفادة في الدعوة والجانب التربوي والأخلاق من خلال القرآن هو أكبر من أن يوصف طرافة وصحة وإثماراً.
- 3- لا بد من استكمال الجهود في هذا المجال لإبراز المجال التوظيفي للنص القرآني.

المراجع.

- 1- الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: 1394هـ/ 1974م.
- 2- التحرير والتنوير، تحرير المعدن السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ) الدار التونسية للنشر - تونس 1984 هـ.
- 3- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر - دمشق،: الثانية، 1418 هـ.
- 4- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، ط: الأولى.
- 5- التوظيف التربوي للقيم في القرآن الكريم، د. فخرية بنت محمد إسماعيل خوج - الشاملة الذهبية.
- 6- الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ) تحقيق: محمد إبراهيم سليم - دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر .
- 7- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: 775هـ) تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، ط: الأولى، 1419 هـ.
- 8- المحيط في اللغة، إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، المشهور بالصاحب بن عباد (المتوفى: 385هـ) تحقيق: ممد حسن آل ياسين - دار عالم الكتب الطبعة الأولى 1414هـ - 1994م.
- 9- تاريخ ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر) عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: 808هـ) تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط: الثانية، 1408 هـ.
- 10- تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت 1422هـ ط: الأولى.

- 11- تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: 741 هـ) دا الفكر - بيروت / لبنان 1399 هـ.
- 12- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنايا) محمد بن علي بن علي بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: 1354 هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1990م.
- 13- تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376 هـ) تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى 1420 هـ.
- 14- تفسير يحيى بن سلام، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ببيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (المتوفى: 200 هـ) تحقيق: الدكتور هند شلي، دا الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: الأولى، 1425 هـ.
- 15- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370 هـ) تحقيق: محمد عوض مرعب - دا إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة: الأولى، 2001م.
- 16- جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دليد الأزد (المتوفى: 321 هـ) تحقيق: لمزي منير بعلبكي، دا العلم للملايين - بيروت، ط: الأولى، 1987م.
- 17- حاشيتا القونوي وابن التمجيد على البيضاوي، عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي (صاحب: حاشية القونوي على البيضاوي) (1195 هـ) مصلح الدين بن إبراهيم الرومي الحنفي (صاحب: حاشية ابن التمجيد على البيضاوي) (880 هـ) تحقيق: عبد الله محمود مُحَمَّد عمر، دا الكتب العلمية - بيروت، 1422 هـ.
- 18- خزائن الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (المتوفى: 1093 هـ) تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هالون - الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة - الطبعة: الرابعة، 1418 هـ - 1997م.
- 19- ديوان أبي الطيب المتنبّي، أبو الطيب المتنبّي أحمد بن الحسين الكوفي (303 هـ - 354 هـ) تحقيق: الدكتور/ عبد الوهاب عزام - لجنة التأليف والترجمة والنشر.

- 20- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي (ت: 1270هـ) علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأول، 1415 هـ.
- 21- رياض الصالحين، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط: الثالثة، 1419 هـ.
- 22- غرائب القرآن و غرائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: 850هـ) تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأول - 1416 هـ.
- 23- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ) تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- 24- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: 711هـ) دار صادر - بيروت - الطبعة الثالثة - 1414 هـ.
- 25- معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل - عالم الكتب - الطبعة: الأول، 1429 هـ - 2008 م.
- 26- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: الثالثة - 1420 هـ.
- 27- من بلاغة القرآن، أحمد أحمد عبد الله الببلي البدوي (المتوفى: 1384هـ) نهضة مصر - القاهرة 2005م.
- 28- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ) دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- 29- تفسير حقائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي - تحقيق: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي - دار طوق النجاة، بيروت - لبنان - الطبعة: الأول، 1421 هـ - 2001 م.